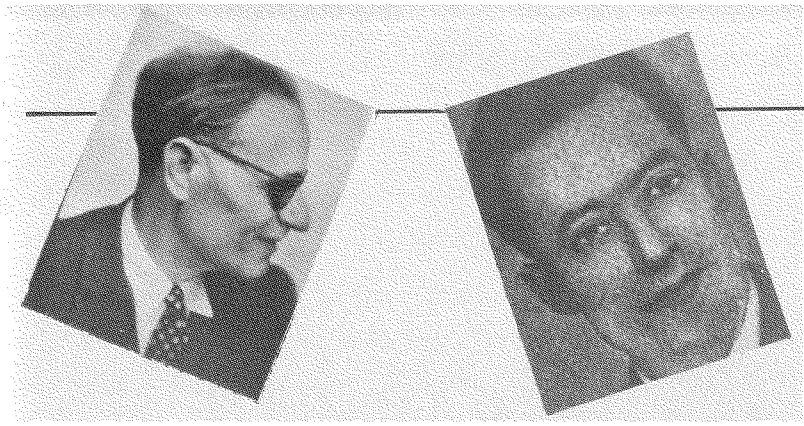

رسائل محمود المسعدي

الى طه حسين

تقديم: نبيل فرج

لم تستطع المسافات الشّاسعة التي كانت تفصل طه حسين عن الأدباء في أنحاء الوطن العربي أن تحُول بينه وبين سعيهم إليه، إمّا بالمراسلة، أو باللّقاء الشّخصي.

ومثل هذه العلاقات التي نشأتْ بين هؤلاء الأدباء وبين طه حسين، في القاهرة وفي البلاد العربيّة والأجنبيّة، كانت جزءاً من حياته العامّة، ومن رسالته الثقافيّة المتعدّدة الأوجه، التي أغْنَت المكتبة العربيّة بأكثر من خمسين مقدّمة للكتّاب والمترجمين والمحقّقين، وبأضعاف هذا العدد من الدّراسات والكتابات النقديّة التي تناولت إنتاجهم الأدبي.

وتضمّ مكتبة طه حسين الخاصّة في متحفه بالهرم مئات الكتب التي أُهديت إليه من مؤلّفيها بأمل الكتابة عنها. كما تضمّ المكتبة عدداً من المخطوطات التي أراد أصحابها أن يضع لها مقدّمات، ورحل طه حسين دون أن يكتبها.

ويمكننا أن نلاحظ أنَّ من اجتذبهم طه حسين من الكتّاب والمثقّفين كانوا دائماً من المقدِّرين لبلائه العظيم في المجالات المختلفة، إن لم يكونوا من المفتونين به. وهم في نفس الوقت مِن الذين يؤثرهم طه حسين، ويرى فيهم شيئاً من نفسه، ويتوقّع منهم الخير للثّقافة العربيّة... وهذا ما صار إليه أغلبهم.

ولاشكّ أنَّ خروج طه حسين من أعماق العلوم الأزهريّة القديمة إلى ثقافة السّوربون الحديثة هيّأ للذين يحترمون القديم، مثلما هيّأ للذين يحترمون الحديث، أو لأنصار الشّرق وأنصار الغرب، معاً، أن يجدوا ريّهم لدى هذا المثقّف العربي العالمي الذي أعاد الروح إلى معارف السّلف، وهو يفتح النّوافذ على الثّقافات الأجنبيّة، إيماناً منه بأنَّ الحياة العقليّة لا تزدهر إلاَّ بتراث الماضي وثقافة الحاضر.

ومن الأدباء الذين تعرّف إليهم طه حسين من خلال رسائلهم إليه الكاتبُ التونسي محمود المسعدي، الذي التقى به طه حسين أكثر من مرّة في القاهرة وتونس، وكتب عنه في كتابه «من أدبنا المعاصر» (١٩٥٩).

والمسعدي مثقّف كبير، وصاحب مدرسة فريدة في الكتابة العربيّة، يمتزج فيها الفكر بالشّعر،وتتّخذ الأصول القديمة مادّة للخلق الحديث المتميّز بالرّموز الموحية، والمعاني المكثّفة. المعرفة عنده خبرة فنّيّة وروحيّة مرادفة للحقّ والصّدق والمغامرة. والإبداع قوّة خلاّقة فاعلة في الوجود الإنساني، تنبع من طاقة النّفس ويقظة العواطف، غايتها أن تمسّ جذورَ الأشياء، وتردّ الإنسان إلى ناره التي يصنع منها عالمه البهيج بالحياة ويبني ببروقها مجدَه الصّحيح، على أسس من قيم النبل والطّهارة والتراسل، تجلّل النهايات المحتومة لاعتلال الكون. فإن لم تنبثق من العلّة حياةٌ جديدة تسمو على الآفات والتصدّع، انتهى الكيانُ المنظّم إلى التشويش والموت والفناء، كما تنتهي الزهورُ النديّة بالذّبول والموت على القبور المهجورة.

ولد محمود المسعدي في قرية تازركة جنوب مدينة تونس سنة ١٩١١. وفيما بين ١٩٤٣ و١٩٤٧ أشرف على تحرير مجلّة «المباحث». وفي ١٩٤٨ مثّل نقابة المدرّسين في الاتّحاد العام للشغّيلة، متبنّياً حقوق هذه الفئات الاجتماعيّة، وتطلّعها إلى العدل والحرّيّة.

وعندما اغتال الاستعمارُ الفرنسيُّ فرحات حشاد زعيمَ الاتّحاد العامّ، تولّى المسعدي الرّئاسة ليوم واحد فقط، اعتُقِل بعدَها ونُفي في الصحراء الجنوبيّة حتّى سنة ١٩٥٣. وفي ظلّ الاستقلال، وانتصار الشّعب التونسي على الاستعمار، تولّى المسعدي، بعد ١٩٥٧، عدّةَ مناصب هامّة، مثل وزارة التربيّة الوطنيّة، ووزارة الثقافة.

ومن مؤلّفاته: «السدّ»، و«مولد النسيان»، و«حدّث أبو هريرة قال»...

وهذه هي نصوص الرّسائل عن أصولها الخطيّة.

محمود المسعدي

الحمد لله

تونس في ٣ أكتوبر ١٩٤٧

ـ من الأستاذ محمود المسعدي مدرّس الآداب العربيّة بالمدرسة الصادقيّة بتونس ـ إلى حضرة سعادة الدكتور طه حسين.

تحيّة وإجلالاً

أمّا بعد فحضرة الدكتور لايزال يذكر بدون شكّ أنّه لدى تشرّفي بمقابلته بمصطاف «مورولس» في شهر أغسطس الماضي كان جرى الحديث بيني وبينه عن ديوان بشّار وشأن الشّيخ الطّاهر بن عاشور ومخطوطه. وقد كان أوّلَ همّي حين عوْدتي إلى ربوع الوطن ـ إيفاءً بوعدي للأستاذ ـ أنْ زرتُ أستاذي الشّيخ ابن عاشور. وإنّي لجدُّ سعيدٍ اليوم بأن أبلغ حضرةَ الدكتور تحيّاتِ الشيخ الأستاذ الخالصة وأن أعلمه عنه أنّه ساع إلى نشر ديوان بشّار سعياً حثيثاً يرجو أن يُفضي إلى ظهور الدّيوان في ظرف بضعة أشهر. وقد دارتْ بين الشّيخ محمّد الخضر بن الحسين بمصر مراسلةٌ في الأمر. والديوان جاهز الآن للنشر بمقدّمة وتعاليق من قلم الشّيخ ابن عاشور. وسيحمله في هذه الأيّام رسول إلى الشّيخ الخضر بن الحسين ليتعهّد نشره بالدّيار المصريّة. على أنّ ابتهاجنا للأدب العربي بقرب ظهور هذا الدّيوان العزيز ينغّصه علينا أنّ عوادي الزّمن لم تدع منه إلاّ أقلّه، وهو ما كانت قوافيه من الألف إلى الرّاء.

وأضيف أنّ الشّيخ الأستاذ رغب إليّ أن أعلم حضرة الدّكتور بأنّه يملك نسخة خطّيّة كاملة من شرح ديوان المتنبّي الموسوم بـ معجز أحمد لأبي العلاء المعرّي. وقد فات الأستاذ ح. ح. عبد الوهاب أن يثبت ذلك فيما كان أرسله إلى حضرة الدكتور من إحصاء وتحصيل للباقي بالدّيار التونسيّة من آثار أبي العلاء. والأستاذ الشيخ ابن عاشور مستعدّ للتفاهم مع حضرتكم للنظر في نشر مخطوطة من معجز أحمد إن لم تكونوا عثرتم على نسخة خطّيّة أخرى منه أو في إمدادكم بصورة فوتوغرافيّة من نسخته للمقابلة والضّبط إن كنتم وقعتم على نسخة من الكتاب.

وليسمح لي حضرة الدكتور قبل ختم كتابي هذا بأن أرجوه تشريفي بالجواب والاتّصال الأدبي وبأن أدعو الله مع جميع التونسيين برفع محنة الهواء الأصفر عاجلا عن شعب وادي النيل الشّقيق.

وتفضّلوا في الختام بتقبّل تحيّات مجلّكم.

محمود المسعدي

العنوان

محمود المسعدي

أستاذ الأدب العربي

بالمدرسة الصادقيّة

تونس

* * *

الحمد الله وحده

تونس في ١٨ أكتوبر ١٩٤٨

حضرة الأستاذ الجليل الدكتور طه حسين تحيّة وإجلالاً

كتابي إليكم ـ رعاكم الله ـ بعد أن مضت مدّة طويلة وأنا أمنّي النّفس بمكاتبتكم فتتعذّر، في ساعة تخلّصت فيها اليدُ من عوائق الحياة المادّيّة القاسية وخلا فيها الفكر من شواغل مهنة التدريس المضنية وسمحتْ فيها النّفسُ بالجرأة على إضافة

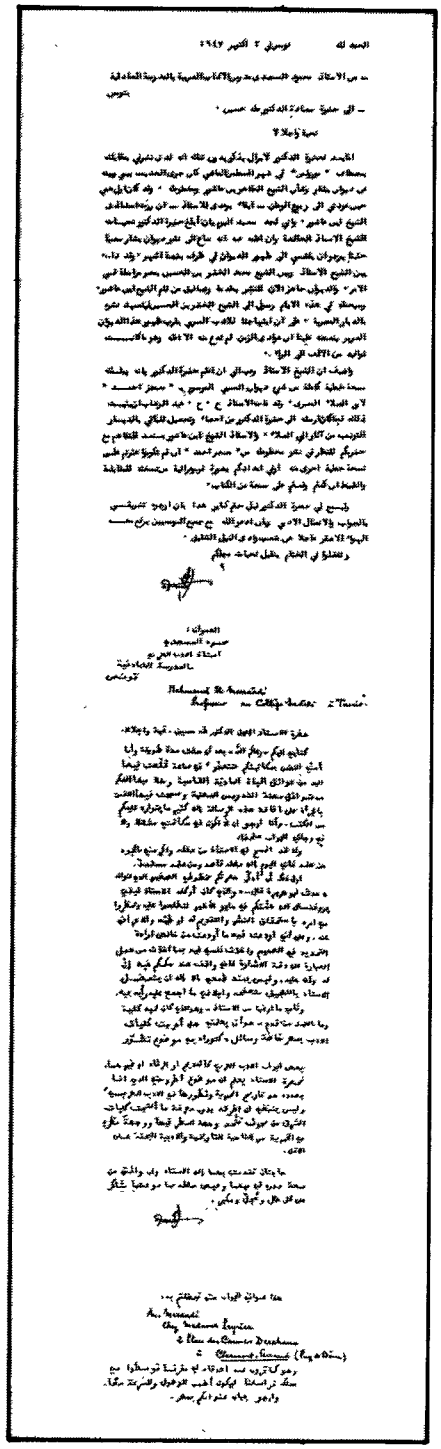

هذه الرّسالة إلى كثير ما يتوارد عليكم من الكتب. وأنا أرجو أن لا أكون في مكاتبتي

مثقلاً ولا في رجائي للجواب ملحفاً.

وإذْ قد أفسح لي الأستاذ من فضله وأكْرَمَني بالجود من علمه فإنّي اليوم إلى فضله قاصد ومن علمه مستمِدّ.

أوّل ذلك أن أذكّر حضرتكم مخطوطي الصّغير الذي عنوانه **حدّث أبو هريرة قال**... والذي كان أوكله الأستاذ ليفي پروفنسال إلى همّتكم في مايو الأخير لتطلّعوا عليه وتنظروا في أمره باستحقاق النشر والتقديم له أو طيّه والإعراض عنه. وعلى أنّي أودعتُ فيه ما أودعت من خالص إرادةِ التجديد في الصّميم وأخذتُ نفسي فيه بما أخذت من حمل العبارة على دقّة الإشارة، فإنّي واقف عند حكمكم فيه إنْ له وإن عليه. وليس يمتدّ طمعي إلاّ إلى أن يتفضّل الأستاذ بالتعجيل بتصفّحه وإبلاغي عمّا أجمع عليه رأيه فيه.

وثاني ما أرغب من الأستاذ ـ وهو الذي كان عميد كلّيّة وما بالعهد من قدم ـ هو أن يعلمني هل أخرجتْ كلّيّاتُ الأدب بمصر خاصّة رسائلَ دكتوراه في موضوع تطوّر بعض أبواب الأدب العربي كالمديح أو الرّثاء أو غيرهما؟ فحضرة الأستاذ يعلم أنّ موضوع أطروحتي الذي أنا بصدده هو تاريخ الخمريّة وتطوّرها في الأدب العربي، وليس ينبغي أن أطرقه بدون معرفة ما أنتجتْ كلّيّاتُ الشرق من بحوث تتّحد وجهةُ النظر فيها ووجهةَ نظري في الخمريّة من الناحية التّاريخيّة والأدبيّة البحتة على الأقلّ.

حاجتان تقدّمتُ بهما إلى الأستاذ وأنا واثق من سعة صدره لي فيهما وفيض فضله بما فوقهما، شاكر على كلّ حال ومُجلّ ومكبر.

محمود المسعدي

هذا عنواني للجواب متى تفضّلتم به

M. Messadi

Chez Madame Peyrier

2 place des Carnes Deschaux

à Clermont - Ferrand (Puy de Doûne)

وهو كما ترون عند أصدقاء لي بفرنسا توسّطوا في سلك تراسلنا ليكون أضمن للوصول وللسّرعة معاً.

وأرجو بيان عنوانكم بمصر.

* * *

تونس في ١٩٤٨/١٢/١٤

حضرة سيّدي الأستاذ سعادة الدكتور طه حسين.

أمّا بعد التحيّة والإجلال فقد شرّفتني رسالتكُم من مدّة طويلة. ولولا أنّي كنت أعلم أنّكم لدى عودتكم إلى مصر ناهضون توّاً إلى لبنان لتمثيل الوطن في مؤتمر هيأة الثقافة الأمميّة التابعة لمنظمة الأمم المتحدة لكنت أجبتُ قبل اليوم. لكن هذا لذاك.

وأودُّ في البداية أن أشفع سابق شكري عن كريم عنايتكم بما تجدّد عندي منه لتجدّدها منكم. ثمّ إنّي أودّ ثانياً أن أحدّثكم ببعض ما قرّ عليه الهمُّ في هذه الأيّام من نشر لبعض الآثار الأدبيّة القديمة.

فقد أفضى بي البحث في تاريخ الخمريّة والخمر في الأدب والمجتمع العربي إلى الوقوف على كتب كادت أن تودي بها عوادي الزّمن وقد يكون من الخير أن يُعتنى بنشرها. وأوّل ما أراه خليقاً بالعناية من ذلك القسمُ الثاني من **أخبار أبي نواس** التي ظهر الجزء الأوّل منها بمصر منذ ٢٤ سنة. وقد وقعت لي نسخة كامل الكتاب مخطوطة فبدا لي أن أعمل على نشر ما لم يُنشر منه إتماماً لفائدته وإنْ كان لي شخصيّاً بعضُ الشكّ في صحّة نسبتِه إلى ابن منظور.

على أنّ الذي أراه أجزل نفعاً للباحث مؤرّخاً وأديباً هو كتاب آخر لابن الرّقيق التونسي لم أحصل بعدُ إلاّ على صورة شمسيّة من قسمه الأوّل ولاأزال أترقّبُ وصولَ صورة القسم الثاني منه من المتحف البريطاني. ولو تهيّأ لي أن أبدأ بنشره لقدّمتُه على **أخبار أبي نواس** لفضل إفادته وجليل ما جاء به من أخبار تكشف القناعَ عن الكثير من أخلاق طبقات الخاصّة وأشباههم في القرون الأربعة الأولى للهجرة. ولكنّ نسخة القسم المصوَّر منه رديئةٌ جدّاً كثيرةُ التحريف، وصورة جزء المتحف البريطاني سوف لا تصلني إلاّ بعد أجل غير قصير. وريثما يتهيّأ لي ما يمكنني من إعداد الكتاب للطّبع فإنّي ربّما اشتغلت بعد الانتهاء من أخبار أبي نواس بإعداد القسم المتعلّق بالخمر والخمريّات من كتاب آخر للسريّ الرّفاء.

على أنّ هذا وذاك ممّا لا يدخل في حاضر الهمّ ولا يتعلّق به حاضر العزم.

وإنّما يعنيني الآن إظهار بقيّة أخبار أبي نواس.

وإلى حضرة الدكتور أتّجه في هذا الصدد راجياً أن أجد عنده ما يشجّعني على إتمام العمل. فإنّ هذا الكتاب قد حصلت لي شخصيّاً زبدة منفعته لبحثي بمطالعة مخطوطته. فلا يكون لي في تخصيصه بشيء من أوقاتي وجه صحيح إلاّ إذا حصلتُ على وعد من بعض دور النّشر المصريّة بطبعه. فإن تيسّر ذلك فإنّي أكون مسروراً بإعداده وإرساله في الأشهر القريبة الآتية. ولعلّ ذلك إن تمّ يكون عملاً أوّلَ أتقدّم به إلى دور النّشر بمصر وأردفه بأعمال أخرى إن شاء الله فيتحقّق هكذا مبدأ التعاون الثقافي الذي يصبو إليه أبناء الفكر ولانزال نتمنّى تحقيقه بين أبناء هذا القطر ورجال مصر الشّقيقة.

وليسمح لي حضرة الدكتور قبل الختام بأن أسأله عمّا صار إليه أمر كتابي **حدّث أبو هريرة قال**... فإنّه لايزال شاغلاً لفكري. ولاأزال منذ سنوات أتمنّى أن ينتهي «المخاض» به وأن تمكّنه الأقدار من البروز إلى الوجود الفعلي بعد ما لقي من معارضات شتّى ماديّة و«عماميّة» وبعدما اعتُرض عليه باسم شخصه أبي هريرة كأنّما وقف الله هذا الاسم على الصحابي وكأنّه لم

يوجد نحويٌّ بهذا الاسم ـ أو كأنّه يتعذّر أن يوجد شخصٌ خياليٌّ بهذا الاسم أو لا يمكن أن يكتب كاتبٌ كلمةً بالعربيّة دون أن يقع في «حرج» ديني مع أصحاب العمايم. ولعلّ سيِّدي يذكر أنّ لجنة المطالعة التي عرض عليها الأستاذ ليفي پروفنسال كتابي في السنة الماضية ردّته ـ أو ردّه بعض أعضائها ـ باسم أبي هريرة ـ كأنّ جميع المسمَّيْن بأبي هريرة من المستحيل أن يقال فيهم غير رضي الله عنهم أو من الحرام أن يكسبهم الخيالُ شخصيّةَ الفرد من الإنسان يبدأ تجربته الإنسانيّة ويتقلّب في أطوارها المتعاقبة بين تجربة الحسّ وسعادته وبؤسه وتجربة الدين والرهبنة والتصوّف وعذابها وأقفارها وتجربة العقل والفكر وأبعادها ودوارها وسُمّها المميت... إلى أن يفضي به كلّ ذلك إلى أن يقوم قويّاً متهافتاً وضعيفاً متعالياً، فرداً أوحد في وجه الكون ـ وليس عليه من حلية سوى عظمته الإنسانيّة الخالصة.

وتفضّل سيِّدي في الختام بتقبّل تحيّاتي الخالصة وعبارات إكباري الصّادق وشكري الدّائم.

محمود المسعدي

العنوان

M. Messadı

Chez Madame Peyrier

2 place des Carnes Deschaux

à Clermont - Ferrand

(Puy de Doûne)

* * *

الحمد لله وصلاة وسلاماً

تونس في ٣/١٩٤٩

حضرة الأستاذ الجليل الدّكتور طه حسين. تحيّات زكيّة.

أمّا بعد تقديم عبارات خالص الإجلال والإكرام فقد تشرّفت بالاتّصال ببعض أخباركم أخيراً عن طريق الأستاذ ح. ح. عبد الوهاب لدى عودته من الدّيار المصريّة. وقد أخبرني معاليه خاصّة بأنّكم اتّصلتم بالرّسالة التي تشرّفت بإرسالها إليكم منّي أواسط ديسمبر الأخير، وبأنّكم تفضّلتم

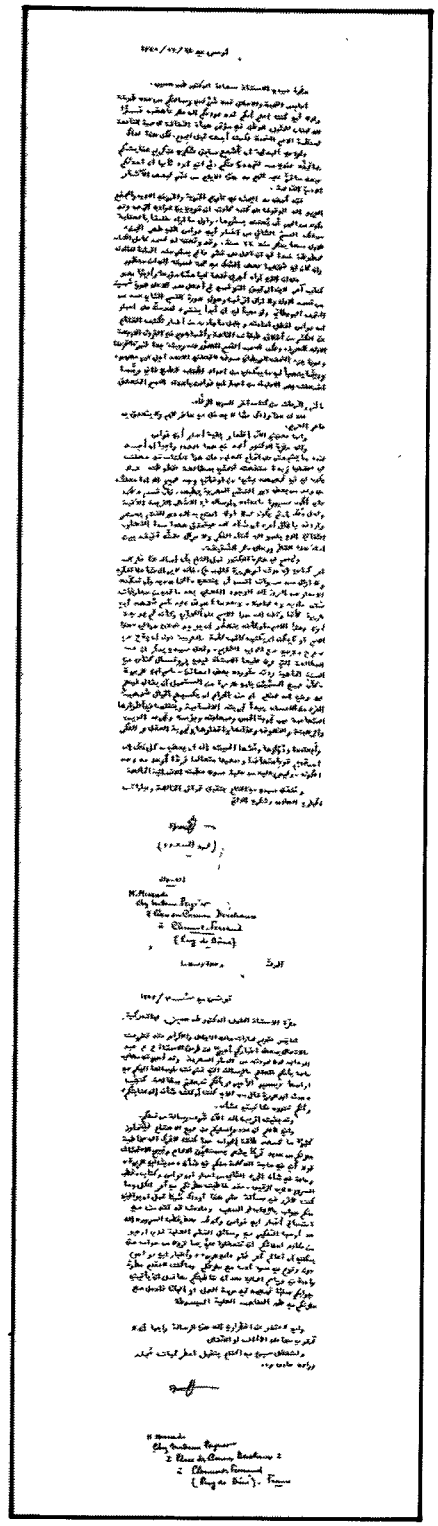

بمطالعة كتيِّب **حدث أبو هريرة قال**... الذي كنتُ أوكلت شأنه إلى عنايتكم، وأنّكم تنوون مكاتبتي بشأنه.

وقد بقيتُ أترقَّبُ إلى الآن شرف رسالة من قبلكم.

وإنّي لأعلم أنّ عدد مراسليكم من جميع الأصقاع ليتجاوز كثيراً ما تسعه طاقة الجواب. فما كنت لأتحرّك إلى مخاطبة حضرتكم من جديد تحرّكاً يشعر بمستهجَن الإلحاح وقبيح الاستحثاث لولا أنّي في حاجة إلى كلمة منكم في شأن **حديث أبي هريرة** وخاصّة في شأن الجزء الثاني من **أخبار أبي نواس** وكتاب **قطب السرور** لابن الرّقيق. فقد خاطبتُ حضرتكم في أمر الكلّ وما كنت لأقرّر في مسألة نشر هذا أو ذاك شيئاً قبل أن يوافيني منكم جواب بالإيجاب أو السّلب. ومادمت قد تقدّمت في انتساخ **أخبار أبي نواس** وكذلك بعض **قطب السرور** إلى حدّ أوجب التفكير في وسائل النشر العمليّة فإنّي أرجو من مكارم أخلاقكم أن تتفضّلوا عليَّ بما ترون من جواب حتّى يمكنني أن أعالج أمر نشر **أبي هريرة وأخبار أبي نواس** دون وقوع في سوء أدب مع حضرتكم. وما كنت لأتقدّم خطوة واحدة في برنامج أعمالي بعد أن خاطبتكم بها قبل أن يأتيني جوابكم سلباً فيعيد لي حرِّيَّة العمل، أو إيجاباً فأدخل مع حضرتكم في طور المفاهمة العمليّة المبسوطة.

وإنّي لأعتذر عن اضطراري إلى هذه الرّسالة راجياً أن لا تحملوني بها على الإلحاف والإثقال.

وليتفضّل سيِّدي في الختام بتقبّل أعطر تحيّات مُجلّه وراعي صادِق ودّه.

محمود المسعدي

M. Messadi

Chez Madame Peyrier

2 place des Carnes Deschaux

à Clermont - Ferrand

(Puy de Doûne - France